دلالة كلمة الجبال في القرآن
(دراسة بيانية)

The Significance Of Mountains In The Holy Quran

تأليف

الأستاذ الدكتور عمار أمين محمد الددو

أستاذ اللغة والقراءات في قسم اللغة العربية

بجامعة القصيم

Prof. Ammar Ameen Aldaddo

Professor In Department Of Arabic Language And Literature

Qassim University

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آهل وصاحبته أجمعين.
وبعد؛

إن من يتحرّى الوقوف على ذكر الجبال في القرآن الكريم، يجد القرآن قد عني عناية كبيرة بذكرها في سياق آياته الكريمة، إذ ذكرها في تسع وخمسين آية، ذكر بعضها بأسمائها الخاصة المعروفة بها، كالطور، والجودي، وعرفة، والصفا، والمروة، وذكر بعضها الآخر باسم الجنس (جبل)، وهذه العناية الشديدة بذكر الجبال تغري الباحث المتطلع في مزيد من البحث لمعرفة السرّ الذي يكمن وراء كثرة ذلك الذكر للجبال، وقد حاول الباحث ذلك، فوجد القرآن قد وظف الجبال لبيان أمرين اثنين الأول جعلها وحدة قياس لبيان عظم الأمر المتحدث عنه، لأنّ عظم الجبال معلوم بالنسبة للإنسان. وبين في الثاني للإنسان مهمة الجبال الأساسية في الأرض وهي المحافظة على توازن الأرض، وهو الأمر الأهم والأدق في هذا الشأن، لأن علماء الأرض ما زالوا يجهلون القانون الذي تحافظ الجبال بموجبه على توازن الأرض.

وهذا البحث قدم منظوراً لكيفية عمل الجبال في حفظ توازن الأرض في ضوء سياق الآيات التي ورد فيها ذكر الجبال ونوع المفردات التي اختارها الله سبحانه للدلالة على ذلك الأمر، فآمل أن يكون قد هداني الله سبحانه وتعالى إلى سرّ عظيم من أسرار خلقه في هذا الكون العظيم.

أما من حيث خطته فقد نظمت في ثلاثة مباحثَ وتمهيدٍ وخاتمة، تحدّثت في التمهيد عن علاقة الإنسان بالجبال، وجعلت عنوان المبحث الأول دلالة كلمة الجبال في القرآن بصيغة اسم الجنس، والذات والوصف، وعنوان المبحث الثاني دلالة الاسم الوظيفي للجبال في القرآن، وأفردت المبحث الثالث لبيان دلالة (جعل وألقى) في سياق آيات الجبال. وذكرت في الخاتمة النتائج التي توصل إليها هذا البحث.

Summary

The Semantic Reflection of Mountain Verses in the Holy Quran

Hi who explores and investigates the mentioning of mountains in the Holy Quran, will notice that the Quran has cared a great attention to the mountain's terminology in its verses. The mountains were mentioned in the Quran fifty-nine times either using its names or using the common noun "mountain" and its derivatives. This great attention to its terminology shows the importance of the mountain in the human life and his existence on the planet earth. This research is trying to find the reasons behind this highly caring of mountains in the Holy Quran. And the main outcomes of this research came in two parts, first: that the Quran used the mountains as a scale to greatness, because the mountain greatness is known for human kind. Secondly: it showed the main duty of mountains on earth which is keeping the planet earth balanced while rotation. This research provides a new perspective to how would the mountains do this task by studying the context of the verses which where the mountains mentioned, and what words were chosen by Allah almighty.

This research is organized as three chapters and an introduction, talked about in the introduction to the relationship of humans with mountains, and made the title of the first topic a semantic reflection of the mention of mountains in the Qur'an in the form (اسم الجنس والذات والوصف), and the title of the second topic the semantic management of mentioning mountains in the Qur'an in its functional name, and the third topic is about the meaning of the two verbs (جعل / ألقى) in the context of mountain verses. And in the conclusion, the outcomes and results of this research has been mentioned.

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العَالمين، والصّلاةُ والسَّلامُ على سيّدنا محمدٍ سيّدِ الأوّلين والآخِرين، وعلى آلهِ وصحابَتهِ أَجمعين.

وبعد؛

فإنّ غايةَ هذا البحثِ، إنْ شاءَ اللهُ تعالى، استقصاءَ جميع آيات الجبال في القرآن الكريم وتدبّر دلالاتها اللغوية على وجه الدقة؛ لكشف السرّ الذي يكمن وراء كثرة ذكرها في القرآن الكريم إذ بلَغت تسعاً وخمسين آية.

وهذا أمر يدعو للتفكّر والتدبّر لمعرفة ماهية السرّ الكوني الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في الجبال، لتنال هذا الحظّ الوافر من الذكر في كتابه العزيز، ولعلّ أعظم سرٍّ فيها هو حفظ توازن الأرض ومنعها من الاضطراب، وهو باب جديد من أبواب العلم، أوغل فيه علماءُ الغرب اليوم، دون العرب، وقدّموا فيه نظريات كثيرة جلّها يعتريه النقص، لأنّها قائمة على التنظير البشري المحض، في آية عظيمة من آيات خلقِ الله، وهذه الدراسة سوف، تعنى بهذا الأمر إن شاء الله،وستطرح فكرة جديدة في هذا الباب من العلم ترتكز، بإذن الله، على القرآن الكريم الصادر عن خالق السموات والأرض، وذلك في ضوء دراسة آيات الجبال في سياقها القرآني دراسة لغوية دلالية، وتدبّر معاني مفرداتها بدقّة، ولاسيما الآيات التي وظّفت لبيان وظيفة الجبال في الأرض، لاستنباط القانون الذي أودعه الله في الجبال لإرساء الأرض، فهي آية عظيمة من آيات خلقه، وقد خصّها الله سبحانه بالذكر في عشر آيات، ركّز في تسع منها على تسمية الجبال بالرواسي، على الرغم من كثرة أسمائها في اللغة، وفي آية واحدة فقط وصفها بالأوتاد، وهو أمر ينطوي على سرٍّ دلالي أيضاً سوف تحاول هذه الدراسة تلمّسه في المبحث الثالث، إن شاء الله، بعد استيفاء الحديث عن الآيات التي لم تعنَ بالحديث عن وظيفة الجبال الأساسية في الأرض.

أما مصادره فيأتي في مقدّمتها القرآن الكريم ثم كتب اللغة، ثم كتب التفسير، ثم ما نُشر من بحوث حديثة حول هذا الأمر.

واقتضت مادته أن تُنظمَ في ثلاثة مباحثَ و تمهيدٍ، تحدّثت في التمهيد عن علاقة الإنسان بالجبال، وجعلت عنوان المبحث الأول: دلالة كلمة الجبال في القرآن بصيغة اسم الجنس، والذات والوصف، وعنوان المبحث الثاني: دلالة الاسم الوظيفي للجبال في القرآن، وأفردت المبحث الثالث لبيان دلالة (جعل وألقى)

في سياق آيات الجبال. وذكرت في الخاتمة النتائج التي توصل إليها هذا البحث.

هذا والله أسأل أنْ يلهمنا الصوابَ في القولِ والعملِ، إنّه أكرَم مسؤولٍ وأفضلُ مأمول..

٢٠٢٠/٥/٢٥

أ.د. عمار أمين محمد الددو

بريدة، القصيم

عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم

تمهيد

علاقة الإنسان بالجبال

إنّ من يتحرّى ذِكرَالجبالِ في كتابِ الله بأسمائها المتعدّدة من منظورٍ دلالي، يجدها قد تكرّرت في سياقِ تسعٍ وخمسين آية، وتكرار هذه الكلمة في كتاب الله بهذه النسبة، يرفع من درجة أهميتها، ويوحي بأنّها ذات موقع دلالي في النفس البشرية وأنها بمثابة الرمزالدلالي الذي يمكن من خلاله أداء معاني كثيرة في سياقات متعددة، يقصرعن أدائها غيرها من الألفاظ، ولمعرفةِ الأسبابِ التي أوصلت هذه الكلمة في النفس البشريّة إلى هذا الحدِّ من المستوى الدلالي، لا بدّ من معرفة علاقةِ الإنسانِ بالجبال منذُ القِدَم ومدى ارتباطه بها، وما الذي تقدِّمُه له لتكوين تلك العلاقة.

إنّ كشفَ أسرارِ تلكَ العلاقة يقتضي سبرَ أغوارِ ما لدينا من نصوص معرفية ربانية أو بشرية، لتوثيق تلك العلاقة على المستوى الإنساني بشكل عام، والعربي بشكل خاص.

وعليه يمكن القول: أما على المستوى الإنساني بشكل عام فيمكن معرفةُ ذلك من خلال كتاب الله، إذ لوأَنعمنا النظرَ في دلالةِ بعضِ آياتهِ الكريمةِ، نُدرِكُ أنّ ثمَّةَ علاقة أزلية بين الإنسانِ والجبال، سببها التكوين الخَلْقي للإنسان، فالإنسان من حيث التكوين الخَلْقي، كما هومعلوم، يمتاز بأمرين اثنين: أحدهما: قوي وهو العقل وبه يتفوق على سائر مخلوقات الله المدركة لديه، والثاني: ضعيف وهو البنية الجسدية التي تقتضي الحماية والتزويد بالطاقة بشكل مستمر، هذا التكوين الخَلْقِي للإنسان جعلَهُ يضربُ في الأرض لتعويض النَّقص في هذا الجانب وتقويته، كي يضمن الاستمرارَ والبقاءَ فوجد بغيتَه في الجبال، فاتّخذ منها مأوىً له لحماية نفسه من كلّ ما يهدِّدُ حياتَه من الأخطارِ القاتلة، وهوأمرٌأرادَه اللهُ له، وجعلَهُ وظيفة من وظائف الجبال في هذا الكون، يتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النَّحل الآية ٨١]، ثم مع تقدّم الأيام وتمكّن الإنسان في الأرض صار ينحت من تلك الجبال بيوتاً له، كما كان يفعل أصحاب الحجر﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحِجْر الآية ٨٢]، ومن الأدلة التي تشيرإلى قِدَم علاقة الإنسان بالجبال أيضاً قوله تعالى حكاية على لسان نوح عليه السلام وابنه حين داهمهم الطوفان: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ

بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ [هُود من الآية ٤٢ الى الآية ٤٣].

هذه إشاراتٌ ربّانيّةٌ واضحةٌ تدلّ على مدى تفاعلِ الإنسان مع الجبال منذ القِدَم ومكانَتِها في نفسهِ، وهي علاقة متينَةٌ لا تكادُ تنفكّ، لتعلّقها المباشر بحياته وحاجته الماسّة إليها في كثيرٍ من ظروفِ الحياة، لذا ستبقى كذلك إلى أَنْ يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها.

هذا على المستوى الإنساني بشكل عام، أمّا على مستوى الإنسان العربي الذي نزلَ القرآنُ الكريم بلسانهِ، فإنّنا لو أردنا أَنْ نقفَ على رمزيّةِ الجبال عند العرب قبل البِعثة، ندرِك شيئاً من سرّ تكرار هذه الكلمة في كتاب الله، سبحانه وتعالى.

فالجبال من منظور الإنسان العربي قبل البِعْثَةِ، هي رمز القوّة التي لا تُقهر، والشَّمَمِ الذي لا يُطال، والخلودِ الذي لا يفنى، لذا تكرّر ورودها كثيرًا في أشعارِهم، ولا يكاد يخلو ديوانُ شِعرٍ من ذكرها مرّات عدّة، وقد نظرتُ في بعض أَشعارهم نظرةً عجلى، فوجدتُ الكثيرَ منهم قد وظّفها في شِعره للتعبير عن معانٍ ودلالاتٍ كثيرة، منهم: كُثيرعزّة ذكرها اثنتي عشرة مرة، والنابغة الذبياني ذكرها ثلاث مرات، وعنترة ذكرها سبع مرات، وحسان بن ثابت ست مرات، وجرير ثلاثين مرة، والأخطل عشر مرات، ووردت في شعر زهير بن أبي سُلمى، والحطيئة والأحوص، وغيرهم. أمّا رمزيّتها عندهم فهي رمز الخلود، والقوّة، والمَنَعَةِ، والعزّ والشَّمَمِ، وإليكَ بعضَ ما ورد في أشعارِهم من ذلك، فمن أمثلة استعمالهم لها في **الدلالة على الخلود**:

قول الأعشى[١]:

لَـنْ تَـزالُـوا كَـذلِـكُـمْ، ثُـمَّ لَا زِلْـ ... ـتَ لَـهَـمْ خَـالِـدًا خُـلُـودَ الـجِـبـالِ

وقول زهير بن أبي سلمى[٢]:

أَلا لا أَرى عـلـى الـحَـوَادثِ بـاقِـيًـا ... ولا خـالِـدًا إلاّ الـجِـبـالَ الـرّواسِـيَـا

وقول جرير[٣]:

لا زَالَ مُـلْـكُـكُـمُ، وَأَنْـتُـمْ أهْـلُـهُ ... وَالـنّـصـرُ مـا خَـلَـدَ الـجِـبـالُ مُـخَـلَّـدَا

ومن أمثلة رمزهم بها **للدلالة على القوّة والمَنَعة**.

قول النّابغة الذبياني[٤]:

يـقـولـون حِـصـنٌ ثـم تـأبَـى نـفـوسُـهـم ... و كـيـفَ بـحـصـنٍ والـجـبـالُ جـمُـوحُ

(١) ديوانه ص١٣.

(٢) ديوانه ص١٤١.

(٣) ديوان جرير١٤٢.

(٤) ديوانه ١٩٠.

وقول عنترة في أكثر من موضع في ديوانه[١]:

وإنـــي لـحـمّـالٌ لـكـلِّ مَـلَـمّـةٍ ... تَـخِـرُّلـها شُـمُّ الـجـبـالِ وَتُـزْعَـجُ

وقوله[٢]:

يـا عـبـلَ كـم مـنْ جَـحْـفـلٍ فـرَّقْـتُـه ... والـجـوُّأسـودُ والـجـبـالُ تـمـيـدُ

وقوله[٣]:

إنَّ لـي هِـمَّـةً أشـدُّ مـن الـصَّـخـ ... ـرِوأقْـوى مـنْ راسـيـاتِ الـجـبـال

وقوله[٤]:

عـتـبـتُ الـدَّهـرَكـيـفَ يـذلُّ مثلي ... ولـي عـزمٌ أقـدُّ بـه الـجـبـالا

وقول الأحوص[٥]:

مَـلِـكٌ تـديـنُ لـهُ الـمـلـوكُ مـبـاركٌ ... كَـادَتْ لـمـهْـلِـكِـه الـجِـبَـالُ تَـزُولُ

وقول العباس بن الأحنف[٦]:

نَـقْـلُ الـجِـبـالِ الـرّواسـي عَـن مَواضِـعِـهـا ... أخـفُّ مـن نَـقْـلِ نـفـسٍ حـيـنَ تـنـصرفُ

وقوله[٧]:

وأنـتِ كـأنّ قـلـبَـكِ حـيـنَ أشـكُـو ... بـراهُ اللهُ مـن صُـمّ الـجـبـالِ

وقوله[٨]:

لا تـطـيـقُ الـجـبـالُ يـا مـعـشـرَ الـنّـا ... سِ مـن الـحـبِّ مـا تـطـيـقُ الـجـسـومُ

ومن أمثلة **رمزهم بها للعزة والشَّمم**

قول حسان بن ثابت[٩]:

لـنـا جـبـلٌ يـعـلـو الـجـبـالَ مـشـرفٌ ... فـنـحـنُ بـأعـلـى فـرعـهِ الـمـتـطـاولِ

(١) ديوانه (شرح التبريزي) ٤٢.
(٢) ديوانه(شرح التبريزي) ٥٦.
(٣) ديوانه(شرح التبريزي) ١١٣.
(٤) ديوانه(شرح التبريزي) ٩٨.
(٥) ديوانه ص ١٥٨. (الشاملة).
(٦) ديوانه : ص ١٨٦.
(٧) ديوانه ص ٢١٦.
(٨) ديوانه ص ٢٣٣.
(٩) ديوانه ١٨٧.

وقوله[١]:

لـنـا حَـــرَّةٌ مـــأْطُـــورَةٌ بجبـالـهـا ... بَـنـى الـمـجـدُ فـيـهـا بَـيـتـهُ، فـتـأَهَّـلا

وقول جرير[٢]

وإنَّ لـنـا نَـجـداً وغَـــورَ تِـهَـامـةٍ ... نَـسُـوقُ جِـبـالَ الـعِـزِّ شُـمًّـا هِـضـابـهـا

وقوله[٣]:

لـكـمْ شُـــمُّ الـجـبـالِ مـنَ الـرَّواسـي ... وأعـظـمُ سَـيـلِ مُـعـتـلـجِ الـبـطـاحِ

وقوله[٤]:

تَـلْـقـى َجِـبـالَ بَـنـي مَـــرْوانَ خـالِـدَة ... شُـمَّ الـرّواسِـي وَتُـنـبـي صَـخـرَةَ الـرّادِي

وقوله[٥]:

فـإنّ جِـبَـالَ الـعِـزّ مِـنْ آلِ خِـنْـدِفٍ ... لِـقَـيـسٍ، فَـقَـدْ عَـزّتْ وَعَـزّ نَـصِـيـرُهَـا

ففي هذه الأمثلة، وغيرها مما ورد في أشعارِ العرب ودواوينهم، دلالةٌ واضحةٌ على ما للجبالِ من مكانةٍ عظيمةٍ في نفوسِ العربِ، وما لها من رمزِيةٍ دلالية متداولة في كلامهم وأشعارهم للتعبيرعما في نفوسهم من المعاني والمشاعر، فضلاً عمّا تؤمّنه لهم من الحماية والمَنَعة والحفاظِ على الحياةِ، بل كانوا يُعرَفون بهذه الخاصية، إذ كانوا أصحابَ جبالٍ، كما روى عثمان بن عطاء[٦].

لذا تكرر ذكرها في كتاب الله في مواضع كثيرة، ولها في كلِّ موضعٍ دلالةٌ محدّدةٌ، ورمزيّةٌ خاصّة، وتصويرُ مشهد من المشاهد العظيمة، التي يعجز الإنسان بإدراكه المحدود عن تصورها وإدراك مدى عظمتها، وفداحة أمرها.

ومن مَهَمَّةِ هذا البحثِ، بعونِ الله وتوفيقهِ، إبرازُ تِلكَ المواضِعِ، وسَبْرُأغوارِها للكشفِ عن جميعِ الدلالات التي دلَّت عليها كلمةُ الجبالِ في سياقاتها المتعدّدة في كتاب الله، عزّ وجلّ، ومَعرفَةُ وظيفتها في بُعْدِها الكوني ومَقْصِدِها الدِّيني، ومدى أهميتها للإنسان والأرض معاً، إن شاء الله تعالى.

---

(١) ديوانه ٢٠٨.

(٢) ديوانه ص ٥٠.

(٣) ديوانه : ص٧٨.

(٤) ديوانه : ص ١٢٢.

(٥) ديوانه: ص ٢٠٥.

(٦) «روى عثمان بن عطاء عن أبيه قال إنما خوطبوا بما يعرفون، قال جل وعز:﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النَّحل الآية ٨١] وما جعل لهم من السهل أكثروأعظم، ولكنّهم كانوا أصحابَ جبالٍ» معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٨.

ولكنْ قبلَ الخوض في لجَّةِ هذا البحث، تجدرُ الإشارةُ إلى أنّ ذكر الجبال في القرآن الكريم قد ورد بأربعِ صِيَغٍ، هي: صيغة اسم الجنس، وصيغة اسم الذات، والصيغة الوصفية، والصيغة الوظيفية[1]، وسيأتي الحديث عنها مفصّلاً، إن شاء الله تعالى.

هذا على مستوى الصيغ، أما على المستوى الدلالي، فإني قد وجدتُ جميعَ الآياتِ التي اشتملت على ذِكْرِ الجبال قد كُرِّست للدلالة على أمرين اثنين:

الأول: بيان عِظَمِ الأمرِ المُتَحَدَّثِ عنه، إذ جُعِلَت كلمة الجبالُ مع ما تحمله من دلالة في النفس البشرية، كوحدة قياس، أو لِنَقُل كوحدة معيارية لبيان عِظَم أمرٍ تعجزُ حواس الإنسان القاصرة عن إدراكه، وهذا الأمر يَشغَلُ الجزءَ الأكبرَ من الآيات الكريمة، كما أنّه لا يحتاج إلى كثيرِ إمعانٍ وتدبّرٍ لإدراك دلالاته.

والثاني: بيان الوظيفة الأساسية الكونية للجبال في الأرض، وهذا يقتضي فهماً دقيقاً لمعاني المفردات المستعملة في ذلك السياق، وما وُضِعَتْ له أصلاً، وإمعان النظر فيها، وإعمال الفكر، لإدراك الوظيفة الأساسية للجبال في الأرض، وآلية عملها من خلال الفهم الدقيق لمعاني تلك المفردات التي وظفت للتعبير عن هذا الغرض، الذي خصصت له عشر آياتٍ من أصل تسعٍ وخمسينَ آية. و هو محور هذا البحث، وحَجره الأساس، ولأجله عُقِد.

(١) أي سماها باسم وظيفتها الأساسية في الأرض.

المبحث الأول

دلالة كلمة الجبال في القرآن (الجنس والذات والوصف)

معلوم أنّ طبيعة خلق الإنسان وتكوينه، لا يؤهلانه إلى إدراك الكثير من الحقائق الكونية غير الحسية، لذا عمد القرآن الكريم إلى تقريب الصورة إليه بالتشبيه والتمثيل بما هو مدرك ومحسوس لديه، لكي يقيس الإنسان قوة غير المدرك بالنسبة له على ما هو مدرك عنده، فيفهم شيئاً من مدلولات ذلك الأمر المشار إليه ولو كان جزئياً.

وعليه فإنّ الغرض من عقد هذا المبحث تدبّر ما تؤدّيه هذه المفردة القرآنية في كتابه العزيز من معانٍ ودلالات، وأسرار بيانية معجزة، في بعدها اللغوي الوصفي ضمن سياقها القرآني.

ولعل النظر فيها ودراستها من خلال الصيغ التي تقدم ذكرها، يضفي على البحث شيئاً من المنهجية العلمية، ويوصلنا إلى معان ودلالات تكون أكثر اتساقاً وترابطاً من حيث الحقل المعرفي. وعليه أقول وبالله التوفيق.

أولاً: دلالة اسم الجنس.

ورد ذِكرُ الجبال في كتاب الله باسم الجنس تسعاً وثلاثين مرة في سبع وثلاثين آية، ستٌّ منها وردت بصيغة المفرد (جبل)، و ثلاث وثلاثون وردت بصيغة الجمع(جبال).

وبعد النظر في سياق الآيات المتقدمة التي وردت فيها هذه الكلمة، وجدتها قد وظّفت في جميع هذه المواضع كوحدة قياس تقديرية لبيان عِظَم الشيء المُتَحَدَّث عنه، وذلك في نحو ستّ وعشرين آية كلّ منها عظيم الشأن، وهي:

١- بيان عجز الطاقة الخَلْقية للإنسان في الدنيا عن تحمّل النظر المباشر إلى وجهِ اللهِ الكريم، سبحانه وتعالى، وذلك في موضع واحد، وهو قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأَعْرَاف الآية ١٤٣].

إنّ من يتدبر السِّياق الدلالي لكلمة الجبل هنا، يجدها قد وظّفت توظيفاً واقعياً، لتكون دليلاً عملياً، وبرهانًا فعليًا لإقناع موسى عليه السلام، أنّ تكوينه الخَلْقي غير قادر على تحمُّل النظر المباشر إلى جلال الله، سبحانه وتعالى، لأنّ الفرق ما بين الطاقتين، أعني طاقة الجبل وطاقة الإنسان من حيث التحمل، مدرك

بالحس لدى موسى، لذا صُعِق من دون أن يباشره نور الله سبحانه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لِيُدرك موسى، عليه السلام، أيضًا جانبًا من قوّة الله سبحانه وتعالى، وقدرته، فتقوى عزيمته على التكليف الذي كُلّف به.

٢- اتخاذها موضعًا للبرهنة العملية لإبراهيم عليه السلام، على تحقيق جانب من جوانب القدرة الإلهية في إحياء الموتى، وذلك في موضع واحد، وهو قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البَقَرَة الآية ٢٦٠].

ولعل الحكمة من استعمال الجبال هنا، والله أعلم، تحقيق الرؤية الواضحة لإبراهيم عليه السلام، ومشاهدة المعجزة بشكل واضح وجلي، وهي كيفية إحياء الطير بعد أن كانت عبارة عن قطع لحمية ممزوج بعضها ببعض،، فيطمئن بذلك قلبه، وتستقر نفسه، ولا يدع مجالاً للشك بالتباس الأمر في طيور أخرى من جنسها، لأنّ الواثق من عمله يعمل بجلاء ووضوح، ويبتعد عن كلّ ما من شأنه أن يشكك في أمره، بعكس العاجز المدلّس الذي لا يستطيع تحقيق إيهام ما يدعيه إلا من وراء ستار.

٣- جعل بعضها أداة تهديد بالعذاب لبني إسرائيل ليأخذوا بتعاليم الكتاب الذي آتاهم ويذكروا ما فيه، وذلك في قوله تعالى ﴿ *وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الأَعْرَاف الآية ١٧١]، والمقصود بالجبل في هذه الآية جبل الطور[1]، لأنه هو الذي رفعه الله فوق بني إسرائيل تهديداً لهم من أجل أن يتمسّكوا بتعاليم التوراة، وسوف نتوقف عند ذلك في موضعه إن شاء الله.

٤- بيان عِظَمِ الموجِ الذي كانت تجري فيه سفينة نوح عليه السلام، حين أرسل الله الطوفان على قومه. وذلك في قوله تعالى ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [هُود الآية ٤٢].

٥- بيان فائدة من فوائد الجبال للناس، وتنبيههم إلى بعض نِعَمِ الله عليهم من خلقها. وهي اتخاذُ الأكنان فيها، أي المخابئ وذلك في قوله ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النَّحْل الآية ٨١]؛ الحكمة من اتخاذ الأكنان في الجبال هنا، أنها تُؤَمِّنُ الحماية لهم من الأخطار المتنوعة. وقد أفاد النبي، صلى الله عليه وسلم، كما هو معلوم من غار ثور في طريق هجرته إلى المدينة.

(١) ينظر: مجاز القرآن ١/ ٤٣، والكشاف ٢/ ١٦٥، و الجامع لأحكام البيان ١/ ٤٣٦.

٦- جعلها وحدة قياس لتحقير شأن المتكبّر. وذلك في قوله ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسْرَاء الآية ٣٧].

تمّ توظيف الجبال هنا توظيفاً دلالياً سلبياً، القصد من ورائه تيئيس من أراد أن يتكبر ويختال ويتفاخر، بأنه مهما بالغ في تعظيم نفسه، وشدّ قامته فإنّه لن يبلغ الجبال طولاً. لذا عليه معرفة مقدار نفسه، والعودة إلى التواضع لله وعباده، وهو الأمر المحبوب عند الله، وترك ذلك التفاخر الكاذب، لأنّ الله لا يحب كلّ مختال فخور.

٧- إظهار ضعف أعظم قوّة على وجه الأرض في نظر الإنسان، وعجزها عن حمايته من غضب الله وسخطه، قال تعالى حكاية على لسان ابن نوح حين دعاه والده للركوب في السفينة ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هُود الآية ٤٣].

٨- بيان عظم ارتفاع منسوب مياه الطوفان الذي أُرسِل على قومِ نوح، عليه السلام، كما في الآية المتقدمة.

٩- بيان شدّة تعنّت الكافرين وعدم إيمانهم بالقرآن الكريم، قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرَّعْد الآية ٣١].

١٠- بيان عِظَمِ مكرِ الكافرين، وذلك في قوله ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبْرَاهِيم الآية ٤٦].

١١- بيان عظم الذَنب الذي اقترفه الكفّار بافترائهم على الله باتخاذه ولداً، وذلك في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مَرْيَم من الآية ٨٨ الى الآية ٩٠].

١٢- بيان قدرة الله سبحانه وتعالى، وعِظَم الأهوال حين تقوم الساعة، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه الآية ١٠٥].

١٣- إظهار مدى طاعتها لله، وتفاعلها تفاعل العاقل وهي جماد في نظر الإنسان، حين كلّفها الله سبحانه وتعالى بالتسبيح مع داود عليه السلام، وجعلها آية من آيات نبوّته[1]، وذلك في ثلاث آيات وهي: قوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبِيَاء الآية ٧٩].

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٨/ ٤٧٩، ٢١/ ١٦٨، والكشف والبيان ٦/ ٢٨٦.

وقوله ﴿ ۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠﴾ [سبإ الآية ١٠].

وقوله ﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨﴾ [ص الآية ١٨].

١٤- بيان استسلام أعظم خلق الله إليه، وأداء الطاعة والسجود لوجهه الكريم ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨﴾ [الحج الآية ١٨].

١٥- لفت الانتباه إلى عظيم خلق الله وقدرته على التصرّف الشكلي بجميع خلقه ابتداءً بأضعفها ليونة وهي الثمار، وانتهاءً بأعظمها صلابة وهي الجبال، فقال ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧﴾ [فاطر الآية ٢٧].

١٦- بيان عِظم كُتل السَّحاب التي تشتمل على البرَدِ في السماء ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ [النور الآية ٤٣].

١٧- بيان مدى الرّفاهية التي وصل إليها قومٌ صالح، وتمكّنهم في الأرض، وذلك في قوله ﴿ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ١٤٩﴾ [الشُّعَرَاء الآية ١٤٩].

١٨- بيان دقّة صنع الله وإتقانه، وفيها إشارة إلى دوران الأرض أيضاً، قال تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨﴾ [النَّمل الآية ٨٨].

في هذه الآية إشارة واضحة إلى دوران الأرض، لأن الجبال تجري بسرعة الأرض، كونها محمولة عليها، وتبدو للإنسان جامدة، أي غير متحرّكة، لأنه محمولٌ وإيّاها على الأرض نفسها، فهو يدور معها ولا يشعر بحركتها، كما هو الحال بالنسبة للسيارة وركابها فكل واحد منهم غير متحرك بالنسبة لصاحبه، وهم جميعاً يسيرون بسرعة المركبة [1].

١٩- بيان عظم الأمانة التي حملها الإنسان ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب الآية ٧٢].

٢٠- بيان عِظم القرآن الكريم وقوّة تأثيره في الدلالة على الله سبحانه وتعالى، وإظهار الخشية منه ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر الآية ٢١].

(١) ينظر: محاضرات الشعراوي على الشبكة العنكبوتية.

٢١- بيان قدرة الله وشدة بطشه يوم القيامة، يبدو ذلك في قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه الآية ١٠٥]، وقوله ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقَّة الآية ١٤].

٢٢- بيان مبلغ القوة التي وصلت إليها فئة من عباده، وبيان فضله عليهم وهم قوم صالح، وأصحاب الحِجْر، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ٧٤]، وقوله ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحِجْر الآية ٨٢].

٢٣- بيان أهميتها في تأمين السّكن الآمن لغير البشر أيضاً، وذلك في قوله ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النَّحل الآية ٦٨].

٢٤- تصوير مشهد من مشاهد يوم القيامة، وبيان ما يحدث فيه من أهوال، وما يحصل فيه من دمار للكون. وبيان قوة الله عزّوجلّ وذلك في تسع آيات وهي قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكَهْف الآية ٤٧].

وقوله ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطُّور من الآية ٩ الى الآية ١٠].

وقوله ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الوَاقِعَة من الآية ١ الى الآية ٦].

وقوله ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ [المَعَارِج من الآية ٨ الى الآية ٩].

وقوله ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [المُزَّمِّل الآية ١٤].

وقوله ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾ [المُرْسَلَات من الآية ٧ الى الآية ١٠].

وقوله ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التَّكْوِير الآية ٣].

وقوله ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القَارِعَة من الآية ٤ الى الآية ٥]

٢٥- جعلها علامة من علامات وقوع يوم القيامة، وذلك في قوله تعالى ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النَّبَإ من الآية ١٧ الى الآية ٢٠].

٢٦- بيان شدّة خلق الله وإحكام صنعته وقوّته، وذلك في قوله ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النَّازِعَات من الآية ٢٧ الى الآية ٣٢]

٢٧- لفت نظر الإنسان إلى عِظَم قدرة الله في نصب الجبال، إذ قرن ذلك مع خلق الإبل ورفع السماء، وذلك في قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩﴾ [الغَاشِيَة من الآية ١٧ الى الآية ١٩].

ثانياً: دلالة اسم الذات.

إن من يتدبر آيات الجبال في كتاب الله، يجد أربعًا منها قد خُصّت بأسماء محددة دون غيرها من جبال الأرض التي لا تحصى، وهي: الطور، والصفا، والمروة، والجودي، ولكلّ واحد منها وظيفة دلالية محددة أو أكثر في السياق المعرفي الذي ورد فيه، وذلك على النحو الآتي:

الطور(١):

ذكر في عشر آيات، في تسع منها ذُكر باسم (الطور) وفي آية واحدة أُشير إليه باسم الجنس أي: (الجبل)، أبان ذكره هذا عن سبع خصائص دلالية، خصّه الله بها دون غيره من الجبال، وهي:

١- رمزية دلالة القَسم به، دون غيره من الجبال، قال تعالى في ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [الطُّور من الآية ١ الى الآية ٧]

إنّ القسَمَ بالطور في هذا السياق يوحي بعظم شأنه، ذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى، لا يقسم إلا بما هو عظيم الشأن من خلقه، وكونه قد أدرج في سياق أمور عظيمة الشأن، ذات وظائف كونية مهمة، فإنّ ذلك يوحي بأهمية وظيفته الكونية أيضاً، لكنا لا ندري ما هي.

٢- رمزية دلالة إضفاء القدسية والبركة على جانبه الأيمن، قال تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القَصَص الآية ٣٠].

٣- رمزية دلالة تكليم الله سبحانه وتعالى موس عليه السلام من شاطئه الأيمن، ذكر ذلك في ثلاث آيات: قال تعالى ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القَصَص من الآية ٢٩ الى الآية ٣٠].

- وقال ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٦﴾ [القَصَص الآية ٤٦].

(١) وردت عدة أقوال في معنى الطور، ورأي الجمهور أنه اسم جبل بعينه يقع في منطقة سيناء. ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١١٤/١٢.

- وقال ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مَرْيَم الآية ٥٢].

٤- رمزية دلالة ذكر جبل الطور باسمه الخاص، وكثرة تكرار ذلك، إذ ذُكِر في تسع آيات باسمه المعروف (الطور)، ومرة واحدة أشير إليه باسم الجنس، في قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾ [الأَعْرَاف الآية ١٧١].

٥- رمزية دلالة اتخاذه موعداً لبني إسرائيل عندما نجّاهم من عدوّهم، في قولهِ تعالى ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ [طه الآية ٨٠].

٦- رمزية دلالة التّكليف الرَّباني له بالنّتق، فوق بني إسرائيل ليكون أداة تهديدٍ لهم، إنْ لم يلتزموا بما جاء في التوراة و والأخذ بها بقوة. وذلك في أربعة مواضعَ من كتاب الله، وهي قوله:

- ﴿ *وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الأَعْرَاف الآية ١٧١]، المقصود بالجبل هنا الطور.

- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [البَقَرَة الآية ٦٣].

- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [البَقَرَة الآية ٩٣].

- ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾ [النِّسَاء الآية ١٥٤].

٧- جعله أصلاً لخروج شجرة الزيتون المباركة، وكأنّ الشجرة الأولى خرجت منه، لأنّ القرآن قد عمّم منبت النخيل والأعناب، وخصّص منبت الزيتون بطور سيناء، فقال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المُؤْمِنُون من الآية ١٨ الى الآية ٢٠]

بناء على ما تقدّم يمكن القول: إنّ لجبل الطور رمزية دلالية، وخصوصية كونية خصّه الله بها دون غيره من جبال الأرض، إذ جعل منه آيةً حيّة تتفاعل مع الأحداث في عهد موسى عليه السلام، فقدّس جانبه الأيمن، وكلّم منه موسى، واتخذ منه موعدًا لبني إسرائيل، وجعله أداةَ تهديدٍ لهم عندما أشركوا بالله، وأقسم به، وأخرج منه شجرة الزيتون المباركة، وذكره باسمه المعروف تسع مرات.

وهذا يقودنا إلى مزيد من التفكّر والتدبّر في السرّ الذي أودعه الله في هذا الجبل دون غيره من جبال الأرض **الصفا والمروة**[1]:

(١) هما جبلان صغيران معروفان، يقعان على طرفي المسعى، الصفاة من جهة الجنوب، والمروة من جهة الشمال.

فقد خصهما الله بالذكر باسمهما الصريح أيضاً، وجعل لهما وظيفة دينية تتعلق بعبادته، وهي الاستدلال بهما على منطقة السَّعي التي يجب التطواف بها عند أداءِ شَعيرتي الحجّ والعمرة، فقال ﴿ *إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البَقَرَة الآية ١٥٨].

وأما الجودي[1]:

ذُكِر في سياق آية واحدة أيضاً، وهي قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هُود الآية ٤٤].

فالإيحاءات الدلالية التي تفاد من ذكر الجودي في سياق هذه الآية الكريمة، هي أنه جُعل أوّل شاطئ في برّ الأمان بالنسبة لنوح عليه السلام ومن معه، فقد اكتسب مكانة عظيمة في نفوسهم، وهو أوّل بقعة في الأرض تستقبل طائفة من خلق الله، طائعة له منيبة، بمعية نبي من أنبيائه، لتعمر الأرض من جديد، ويمثّل أيضاً رمزية بداية الحياة البشرية والحيوانية الثانية التي بدأت في الأرض بعد الطوفان.

ثالثاً: دلالة الوصف الوصف.

نظراً لمكانة الجبال في الأرض، وقيمتها العظيمة عند الإنسان، فقد أطلق عليها أوصافاً بأسماء لا تكاد تحصى لكثرتها، ومعاجم اللغة تزخر بذلك.

أما في القرآن فلم يذكر إلا صفتين اثنتين من صفات الجبال هما: (الطَّود، والأعلام)

١- الطَّود.

أما الطود فهو الجبل العظيم المتطاول في السماء[2]. وقد وظِّفت هذه الصفة للجبال في سياق آية واحدة توظيفاً دلالياً دقيقاً، وهي قوله ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦﴾ [الشُّعَرَاء من الآية ٦٣ الى الآية ٦٦]، فكشف هذا التوظيف لهذه الصفة في هذا السياق عن معانٍ عدة منها:

١- عظم الكتل المائية التي جعلها الله جامدة كالجبال العظيمة، لتكون فاصلاً بين الطرق التي شقها الله سبحانه في البحر لموسى وقومه لعبور البحر، كي يتخلّصوا من فرعون وجنوده.

---

(١) مختلف في مكانه، والظاهر أنه يقع بالقرب من جزيرة ابن عمر، ما بين العراق والشام شمالي الموصل، وهو على الجهة الشرقية لنهر دجلة، جاء في معجم البلدان ٢ /١٧٩ «**الجودي يأوه مشددة: هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح عليه السلام لما نضب الماء**».

وينظر: تفسير الطبري ١٥ /٣٣٤، وتفسير القرطبي ٩ /٤١، والبحر المديد ٣ /٢١٦ وغيرها.

(٢) ينظر: الصحاح، وتهذيب اللغة، وتاج العروس: مادة (طود).

٢- عِظم قدرة الله، وسرعة استجابة خلقه له، إذ تحقق ذلك بمجرد ضرب الماء بالعصا، بدلالة قوله: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ﴾ [الشُّعَرَاء الآية ٦٣] فالفاء كما هو معلوم تفيد التعقيب[١].

٣- عظم الآية التي جعلها بين يدي نبيه موسى، عليه السلام، لتكون عبرة لمن يعتبر.

٤- درجة الكفر والتَّعنت التي وصل إليها فرعون، إذ لم يتوقف عن ملاحقة موسى، على الرغم من عظم هذه الآية، بل سلك وراءه تلك الطرق طمعاً في إدراكه.

٥- قوة الصدمة التي تلقاها فرعون وجنوده، حين أذن الله سبحانه وتعالى، لهذه الجبال المائية العظيمة، بأن تُطبق عليهم وهم في قاع البحر.

٢- الأعلام.

أما الأعلام فمفردها (عَلَم)، ولها أكثر من معنى في اللغة، فهي تطلق على الجبل، والراية، وعلى رسم الثوب ورقمه في أطرافه، جاء في تهذيب اللغة: «الأعلام: الجبال، واحدها عَلَم. والعَلَم: الراية التي إليها يجتمع الجُند. والعَلَم: علم الثوب ورَقْمه في أطرافه »[٢].

ويفاد مما ذكره صاحب اللسان أنّ كلمة (علم) تطلق على الجبل الطويل، فقال: وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرَّحْمَن الآية ٢٤]؛ قالوا: الأَعْلامُ الجِبال، والعَلَمُ العَلامةُ، والعَلَمُ الجبل الطويل. وقال اللحياني: «العَلَمُ الجبل فلم يَخُصَّ الطويلَ»[٣].

والذي أميل إليه أنها تعني الجبل الطويل خاصّة لأنّ الله سبحانه اختار هذه الصفة من صفات الجبال وشبّه السفن بها، لأنّ السفن تمتاز بطولها وارتفاعها.

وبالعودة إلى سياق هذه المفردة في سياق آي القرآن الكريم، نجدها قد وردت في موضعين، كما تقدّم، للدلالة على أمر واحد، وهو بيان عظم السفن التي تجري في البحر بإذن الله، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ [الشُّورَى الآية ٣٢]. وقوله ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرَّحْمَن الآية ٢٤].

(١) ينظر: مغني اللبيب ٨٧١، وشرح ابن عقيل ٢ /٢٠٩.

(٢) تهذيب اللغة، وينظر: تاج العروس: (علم)

(٣) لسان العرب: مادة (علم).

المبحث الثاني

دلالة الاسم الوظيفي للجبال في القرآن الكريم

معلوم أنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق هذا الكون بكلّ ما فيه وفق موازين متناهية في الدّقة والمقدار، بدلالة قوله ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر الآية ٤٩]، وقوله ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرَّعْد الآية ٨]

ثمّ إنّه سبحانه وتعالى قد جعل لكلّ شيءٍ في هذا الكون وظيفةً كونيّةً يؤديها بدقّة متناهية وفق قوانين دقيقة، ومن عظيم هذه الوظائف وظيفة الجبال، فقد أودع الله سبحانه وتعالى فيها سرًّا وظيفياً كونياً، فضلاً عما فيها من المنافع لسائر خلق الله، وهو حفظ توازن الأرض، إذ لولاها لما استقرت، ولما استطعنا عليها العيش، فقد أكّد الله سبحانه لنا هذا الأمر في عشر آيات من كتابه، للفت انتباهنا إلى أهمية هذه النعمة العظيمة في استقرار حياتنا، ونظراً لأهمية ذلك في الوجود الإنساني على وجه الأرض، فإن الأمر يقتضي الكثير من التفكّر والتدبّر في الكيفية التي تحافظ فيها الجبال على استقرار الأرض، لأننا اليوم في عصر بلغ فيه العلم مبلغه، وتطورت فيه إمكانيات الإنسان وقدراته فطالت يده الجبال، فأزال بعضها عن وجه الأرض، ونقل أخرى فردم بها قاع البحر، وشيّد مدناً في مناطق كثيرة فجعلها كالجبال، وهو مستمر في العبث والتلاعب في هذا الميزان الدقيق الذي جعله الله مثبّتاً للأرض أن تضطرب وتميد بأهلها.

ولأجل فهم هذا الأمر على وجه الدقّة، فإنّ ذلك يقتضي ذكر الآيات التي ألمح الله سبحانه وتعالى فيها إلى وظيفة الجبال الكونية في الأرض، للنظر فيها وتأمّل معاني مفرداتها في سياقها القرآني.

قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرَّعْد الآية ٣].

قال تعالى ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾﴾ [الحِجْر الآية ١٩].

قال تعالى ﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النَّحْل الآية ١٥].

قال تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأَنبِيَاء الآية ٣١].

قال تعالى ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النَّمْل الآية ٦١].

قال تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ

دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٖ ﴿١٠﴾﴾ [لُقمَان الآية ١٠].

قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فُصِّلَت الآية ١٠].

قال تعالى ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾﴾ [ق الآية ٧].

قال تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾﴾ [المُرسَلَات الآية ٢٧].

قال تعالى ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾﴾ [النَّبَإ الآية ٦].

إننا لو تأملنا الآيات العشر المتقدّمة نلاحظ ما يأتي:

١- اتفاق الآيات على وحدةِ الموضوع، وهو لفت انتباه البشر إلى بعض ما أودعه الله سبحانه وتعالى من نعمه عليهم في الأرض، ومنها نعمة تثبيت الأرض بالجبال كي تبقى مستقرة ومتوازنة، و يتمكنوا من العيش فيها باستقرار.

٢- تسمية الجبال بـ(الرواسي)، وتكرار ذلك في تسع آيات.

٣- ذكر العلة التي اقتضت الإرساء وهي الميد، وذلك في ثلاث آيات.

٤- تشبيه الجبال بالأوتاد، في آية واحدة. وهي الأخيرة.

٥- التركيز على مادتين لغويتين، دون غيرهما من مفردات اللغة هما: (الإرساء) و(الميد).

هذا مجمل ما اشتملت عليه الآيات الكريمة هذه من دلالات، من حيث ظاهر اللفظ، ولكن الكيفية التي تثبت فيه الجبال الأرض، لم تذكر بشكل واضح وإنما هي مضمّنة، لذا فإن الأمر يقتضي المزيد من التدبّر والتفكر.

والذي يبدو لي، فإنّ السرّ يكمن في مفردتين اثنتين تكرر ذكرهما في الآيات، كما تقدّم هما (الإرساء والميد)، لذا فإنّ الأمر يقتضي فهم معنيهما اللغوي على وجه الدِّقة، وفهم السياقات التي ترد فيها.

وعليه يمكن القول: أما (الرُّسُوّ)، فإنّ أكثرَ المعاجم تشير إلى أنه يعني الثبات والاستقرار، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي «ورسا الجبلُ يرسو، إذا ثبت أصلُه في الأرض، ورست السّفينة، انتهت إلى قرار الماء فبقيت لا تسير، والمِرْساةُ: أَنْجَرٌ يُشَدُّ بالحبال فيُرْسَلُ في البحر فيمسِكَ بالسَّفينةِ ويُرسيها فلا تَسِيرُ، وألقتِ السَّحابةُ مَراسيَها ثبتَتْ في مَوْضعٍ وجادتْ بالمَطَر».

وقال ابن فارس «رسا: الراء، والسين، والحرف المعتلّ، أصلٌ يدلُّ على ثباتٍ. تقول: رَسَا الشَّيءُ يرسُو، إذا ثَبَتَ. والله جلّ ثناؤُه أَرسَى الجِبالَ، أي أثْبَتَها. وجبلٌ راسٍ: ثابتٌ. ورَسَتْ أَقدامُهم في الحرب. ويقال: ألْقَت السّحابةُ مَرَاسِيَها».

وهذا الذي ذكرته المعاجم في معنى الرسو، ليس على وجه الدِّقة، وإنما على وجه التقريب، لأنه ثمَّة فرق

بين (الرسو) و(الثبات) من عدة وجوه منها:

١- إنّ ضدّ (رسا) (طفا) [١]، أما (ثبتَ) فضده (تحرّك).

٢- إن فعل (رسا) له خصوصية دلالية، إذ يستعمل غالباً للتعبير عن توقف ما كان ذو ثقل أو كثافة عالية من الأجسام في منتهى المواد السائلة كالماء وغيره. لذا تستعمله البحارة، فيقولون: رست السفينة، وموقفها يسمى المرسى، والآلة المثبتة لها تسمى المرساة. أما (ثبت) فلا يختص بذلك فهو عام.

٣- إن فعل (رسا) يقتضي الحركة من الأعلى إلى الأسفل بدافع الثقل، بمعنى أنك عندما تلقي حجراً في الماء فهي تنزل إلى الأسفل حتى تبلغ القاع فترسو، أما (ثبت) فلا يقتضي ذلك، فهو يعني الامتناع عن الحركة بشكل عام.

٤- إن فعل (رسا) يقتضي التثبيت الذاتي، بمعنى أنّ الجسم الذي يرسو يعتمد في تثبيت ذاته على ثقله، وقد يكون أداةً لتثبيت غيره، أما فعل (ثبت) فهو عام، إذ قد يعتمد الجسم الثابت على قوة ذاتية فيه، أو على ثقله، أو قد يعتمد على غيره.

وقد أشار أبو هلال العسكري إلى بعض ما بين المادتين من فروق دلالية فقال: «فالرُّسو: هو الثبات مع العِظم[٢] والثِّقل والعلوّ، فإن استُعمل في غيرِ ذلك فعلى التشبيه والمقاربةِ نحو قولهم: أَرستِ العودُ في الأرض» [٣].

وعليه يمكن القول: إنّ مادة (رسا) تكادُ تختص من النّاحية الدلالية بما هو خاص بالسوائل ولاسيما الماء، وما يعتريها من أجسام طارئة عليها أشدّ منها كثافة، وأكثر ما تستعمل في حقل المراكب المائية كالسّفن وغيرها، وكأنما وضعت لهذا الأمر أصلاً، فإن استعملت في غير هذا الحقل فعلى التشبيه والمقاربة، كما يقول العسكري، لوجود وجه من الشبه بين ما هي له أصلاً، وبين ما استُعيرت له مجازاً[٤].

أما (ماد) فهو يدلّ على التمايل واضطراب الحركة، وعدم التوازن.

جاء في مقاييس اللغة «(ميد) الميم والياء والدال أصلانِ صحيحان: أحدُهما يدلُّ على حركةٍ في شيء، والآخَر على نفعٍ وعطاء. فالأوّل المَيْد: التحرُّك. ومادَ، يَميدُ. ومادت الأغصان تَميد: تمايلَتْ...قال أبو بكر: وأصابه مَيْد، أي دُوَارٌ من ركوب البَحر... وذهب بعضُ المحقِّقين أنّ أصل مَيْد: الحركة. والمائدة: الخِوان لأنها

---

(١) قال أبو الفضل العباس بن الأحنف في ديوانه ص ١١٧:

يَطفُوويَرْسُوغريقاً ماتُكَفكِفُهُ كفٌّ فيا لكَ من طافٍ ومن راسِ

(٢) قوله: مع العظم. ليس بشرط، لأنك قد تلقي مسماراً في الماء فيرسو، وهو ليس بعظيم.

(٣) ينظر: معجم الفروق اللغوية: مادة رقم ١٠٠٥.

(٤) ينظر: معجم الفروق اللغوية: مادة رقم ١٠٠٥.

تميد بما عليها، أي تحرّكه وتُزحِله عن نَضَدِه..».

وجاء في لسان العرب «ومادَ الشيءُ يَمِيدُ مَيْداً تحرّك ومال وفي الحديث «لمّا خلقَ الله الأَرضَ جعلتْ تمِيدُ فَأَرْساها بالجبال» وفي حديث ابن عباس «فدَحَا الله الأَرضَ من تحتها فمادَتْ» وفي حديث علي فَسَكَنَتْ من المَيَدانِ بِرُسُو الجبال وهو بفتح الياء مصدر مادَ يَميدُ وفي حديثه أَيضاً يَذُمُّ الدنيا فهي الحَيُودُ المَيُودُ، فعُولٌ منه، ومادَ السَّرابُ: اضطَرَبَ. ومادَ مَيْداً: تمايل. ومادَ يَمِيدُ: إذا تَثَنَّى وتَبَخْتَرَ. ومادت الأَغْصانُ: تمايلت، وغصن مائدةٌ وميَّاد: مائل. والمَيْدُ: ما يُصِيبُ من الحَيْرةِ عند السُّكْرِ أَو الغَثَيانِ أَو ركوب البحر، وقد ماد فهو مائد من قوم مَيْدى كرائب ورَوْبى، أَبو الهيثم: المائد: الذي يركب البحر فَتَغْشى نَفسُه من نَتْن ماء البحر حتى يُدارَ بِهِ ويَكاد يُغْشَى عليه، فيقال: مادَ به البحرُ، يَمِيدُ به مَيْداً، وقال أَبو العباس في قوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النَّحل الآية ١٥] فقال: تَحَرَّكَ بكم وتَزَلْزَلَ»[1].

فالميد إذاً يعني التمايل وعدم التوازن، وأنه يسبب للإنسان الغثيان وعدم الاستقرار النّفسي، لذا لا بدّ من علاجه بالإرساء. وهذا معلوم الحال بالنسبة للسفينة، ولكن كيف يقع ذلك للأرض؟ وما العلاقة بين السفينة ومراسيها، والأرض وجبالها؟

أما أمر السفينة فمعلوم الحال بالنسبة للإنسان، إذ أدرك أنّ سبب ميدانها ليونة الماء الذي يحملها وقلة تماسك أجزائه، وحلّ هذه المشكلة يكون بالأثقال وهي المراسي.

ثم إننا لو تدبّرنا أمر التعبير عن هذه المشكلة وعلاجها، لوجدنا أنّ أفضل تعبير يمكن أن يطلق على عملية اضطراب حركة السفينة، وعدم استقرارها بسبب حركة الماء، هو (الميد)، وأنّ أفضل تعبير لعلاج المشكلة هو الإرساء، هذا بالنسبة للسفينة أو لِنَقُل للمراكب المائية عامّة، فما علاقة ذلك بالأرض والجبال؟ حتى استعمل القرآن الكريم هذين اللفظين للتعبير عن هذه الظاهرة الكونية العظيمة.؟

الملاحظ أنّ الله سبحانه وتعالى قد شبه الأرض ورواسيها، بالسفينة ومراسيها، لوجود وجه من الشبه بينهما وهو اضطراب الحركة التي تقع لكلّ منهما بسبب ليونة القاعدة التي تحمل كلّاً منهما وعدم تماسك أجزائها بشكل قوي، فالسفينة تطفو فوق الماء، والأرض تسبح في الفضاء، لذا فحركة الاضطراب فيهما متشابهة وهي في السفينة معلومة عند الإنسان، لذا ناسب أن يشبه الله له اضطراب حركة الأرض وهي تدور في الفضاء، باضطراب حركة السفينة فوق الماء.

ولسائل أن يسأل هنا فيقول: أما مَيَدَانُ السفينة وكيفية إرسائها فهما معلوما الحال والكيفية، فالسفينة قد تبلغ القاع فتثبت بثباته، أو تُلقى لها المراسي فتبلغ القاع فتثبتها بثقلها، أو أنها تقف في المرسى فتشدّ بما

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (ماد).

هو ثابت فيثبتها، أما الأرض فلا تزال تسبح في الفضاء وهو أشدّ ليونة من الماء، وليس لها من قاع فترسو عليه، ولا مرسى فتشدّ إليه، ثم إنها تحمل رواسيها وليس لها إلقاء، فكيف لمحمولٍ أنّ يثبّت حاملَه؟

في نظري إنّ الله سبحانه وتعالى لما استعمل مصطلحي الإرساء والميدان لبيان وظيفة الجبال في الأرض، ليس ذلك لتماثل كيفية الإرساء بينهما وإنما، والله أعلم، لأنّ المصطلحين السابقين واضحي الدلالة عند الإنسان كما تقدّم القول، فكل إنسان يعرف كيفية الميدان وأثره على النفس البشرية، ويقدّر نعمة الإرساء والاستقرار، وأعتقد أنّه ليس بين السفينة والأرض من وجه للشبه سوى الميدان، وقد تقدم سبب ذلك.

أما من حيث الكيفية التي تتم بها عملية إرساء الأرض بالجبال، فهي أشبه ما تكون **بعملية الميزانية التي تجرى لعجلة السيارة إن كانت تضطرب في سيرها**، فهي تُعالَج بوضعِ ثِقَلٍ معين مصنوع من الرصاص في المكان المناسب، لمعادلة الوزن المقابل له في الجهة الأخرى، لأنه من المعلوم أنّ كل جسم يدور حول نفسه يكون له محور مركزي يدور حوله، ولكي يكون دورانه مستقراً وخالٍ من الاضطراب، يجب أن تكون جميع أجزائه المتناظرة متساوية من حيث الوزن، وكلما ازدادت سرعة الجسم زادت حاجته إلى التوازن، وهذه العملية في العجلات تسمى عملية الترصيص أو الميزانية.

وكذلك هو حال الأرض فإنّها، كما هو معلوم، تدور حول محورها بسرعة (١٦٧٤,٦٦) كم/ساء، لذا فهي بحاجة إلى ما تُوازن به، كي يكون دورانها مستقراً، خال من الاضطراب، وقد جعل الله الجبال ميزاناً للأرض يضعها في المكان المناسب، كما هو حال الرصاصة في العجلة، والظاهر أنّ هذا الأمر كان في بداية خلق الله للأرض، جاء في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر: (لمَّا خَلَق اللهُ الأرضَ جَعلَتْ تَميدُ فأرسَاهَا بالجِبالَ) [1]، وقد أكّد الله ذلك الأمر في تسع آيات من كتابه الكريم، إذ سمّى الجبال فيها رواسي، نسبة إلى وظيفتها في الأرض، وعلل سبب ذلك في ثلاث آيات فقال: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النَّحل الآية ١٥] أي كي لا تتمايل ولا تضطرب أثناء حركتها، وتسبب لكم الدوار وعدم الاستقرار النفسي.

في النهاية إنّ الذي فهمته من سياق الآيات الكريمة، والكلمات التي استعملها الله سبحانه للتعبير عن هذا الأمر، أنّ اضطراب الأرض أشبه ما يكون باضطراب السفينة، بسبب ليونة الماء الذي يحمل السفينة، وليونة الفضاء الذي تدور فيه الأرض، وأنّ الجبال بالنسبة للأرض بمثابة المراسي للسفينة، وفي هذا التشبيه شيء من تقريب المعنى، لأنّ أمر السفينة معلوم للناس كما تقدّم، ولكن ثمة فرق جوهري بينهما في كيفية الإرساء، وهو أنّ المراسي تلقى كي توقف السفينة وتثبتها في مكانها. أما الجبال فإنّ مهمتها أنّ تثبّت الأرض وهي تدور بالسرعة التي فرضها الله عليها.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٨٢٨.

ولعل الأمر يكون أقرب للفهم في عصرنا؛ إذا ما شبّهنا الوظيفة الكونية للجبال في الأرض، بوظيفة الرصاصة التي تثبت على عجلة السيارة لمعادلة توازنها عند الدوران، ومنعها من التمايل كي لا تضطرب السيارة عند سيرها، ولاسيما في السرعات العالية، لأنّ العجلة، كما هو معلوم، كلما زادت سرعتها ازدادت حاجتها للتوازن. كما هو موضح في الصورة.

وعلى هذا يكون التعبير القرآني في غاية الدقة، وكذلك هو شأنه[١]، حين حصر الأمر في مادتين اثنتين هما: مادة (رسا) و(ماد)، لبيان وظيفة الجبال في الأرض.

وثمّة أمر آخر في الآيات المتقدِّمة التي عُنيت ببيان وظيفة الجبال الأساسية في الأرض، وهو أنّ القرآنَ قد عدل في آية واحدةٍ من أصل عشر، عن تسمية الجبال بـ(الرواسي) إلى تشبيهها (بالأوتاد) فقال جل شأنه في سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النَّبَإ من الآية ٦ الى الآية ٧]، فماذا يعني هذا؟ إنْ أردنا أن نتدبر القرآن كما أمرنا الله سبحانه وتعالى.

هذا الأمر يقتضي منا النظر أولاً فيما قاله المفسرون الأوائل في تفسير هذه الآية، ثم بعد ذلك النظر فيما قاله المهتمون بعلم توازن الأرض اليوم.

أما كتب التفسير فلم أجد فيها إشارة إلى كيفية تثبيت الأرض بالجبال، وإنما توقف مؤلفوها عند المعنى العام للآية، وهذه بعض أقوالهم: قال الطبري[٢]: «﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النَّبَإ الآية ٧] يقول: والجبالَ للأرض أوتادًا أن تميدَ بكم». وقال الزمخشري[٣]: «أي: أرسيناها بالجبال كما يُرسى البيتُ بالأوتاد»، وقال الفخر الرازي[٤]

(١) ينظر: التعبير القرآني: ٥، ولمسات بيانية ٦.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ١٥١.
(٣) الكشاف ٤/ ٦٨٥.
(٤) تفسير الفخر الرازي ١/ ٤٦٤٠.

«قوله تعالى: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ [النَّبَإ الآية ٧] أي للأرض (كي) لا تميد بأهلها»، وقال القرطبي[١]: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ [النَّبَإ الآية ٧] أي: لتسكن ولاتتكفأ ولاتميل بأهلها».

أما المحدَثون ولاسيما المهتمون بعلم توازن الأرض، فقد توصّلوا، كما يقول الباحث عبد الدائم الكحيل، إلى أن « للجبال جذور ممتدة في أعماق الأرض تصل إلى داخل الغلاف الصخري بهدف حفظ التوازن»[٢]. ولكنه لم ينقل لنا عنهم كيف تقوم الجبال بحفظ توازن الأرض؟ وهوالسؤال الأهم، وحاول هوأن يقرّب الصورة بتشبيه الجبال بقطعة الجليد أو الخشبة التي تطفوعلى سطح الماء، ويكون جزء منها مغموراً داخل الماء مهمّته المحافظة على توازن قطعة الجليد أو الخشبة، وفي هذا المعنى يقول: «قطعة الجليد أو الخشب تطفو على سطح الماء، ولكن هنالك جزء منها يغوص داخل الماء لتحقيق التوازن، وبغير هذا الجزء لا يتحقق التوازن لقطعة الخشب. وهذا ما يحدث بالضبط في الجبال، فجميع جبال الدنيا لها جذور تمتدّ في الأرض وتعمل على تثبيت الأرض واستقرار الجبال»[٣].

ولكنّ هذا التعليل غير صحيح، لأنّ الجبال تعمل على حفظ توازن الأرض وهي محمولة عليها، وليس على توازن نفسها كما الخشبة التي تطفوعلى سطح الماء أو قطعة الجليد. العبرة في الجبال كون المحمول سبباً في استقرار حامله. ثمّ إنّ وظيفة الوتد تثبيت ما هوقابل للحركة بشيء أثبت منه وأقوى، كي يقوى على تثبيته ومنعه من الحركة.

وهنا أقول: إنّ تشبيهَ الجبالِ بقطعة الخشب التي تطفوا على الماء بعيدٌ جداً، لأنّ الخشبة تحافظ على توازن نفسها، ولاعلاقة لها بغيرها، أما الجبال فهي تحافظ على توازن الأرض، وهي في الوقت نفسه محمولة عليها، وتعمل على توازن غيرها، وليس على توازن نفسها كالخشبة، ولايمكن تفسيرذلك إلا بعملية الترصيص التي تجري للعجلة كما تقدم.

ثم إنّ قوله جميع جبال الدنيا لها جذور في الأرض تصل إلى الطبقة الصخرية، فهذا غير صحيح أيضاً؛ لأنّ الأمر ليس كذلك، والصواب أن يقول: بعضها، لأنّ بعض الجبال لا جذور لها، بل تبدأ من فوق سطح الأرض، بدليل قول خالقها، جل وعلا ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ [فُصِّلَت الآية ١٠]

فقوله ﴿مِن فَوۡقِهَا﴾ [فُصِّلَت الآية ١٠] يدلّ على أنّ بعض الجبال تبدأ قاعدتها من سطح الأرض، لا عمق لها فيها، لأنّ حرف الجرّ (مِن) يفيد ابتداء الغاية كما هو معلوم عند النحاة. قال المبرد «(مِن) وأصلها ابتداء

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٧١.
(٢) ينظر: موقع عبد الدائم كحيل للأعجاز العلمي (بحث توازن الأرض).
(٣) ينظر: المصدر السابق.

الغاية، نحو: سرتُ من مكّة إلى المدينة، وفي الكتاب: من فلان إلى فلان، فمعناه: أن ابتداءَه من فلان، ومحلّه فلان»[١]. وكلمة (فوق) المراد به سطحها. فلا مشاحّة في هذا، فهذا من أ قوى الأدلة على عدم صحة قول من يرى أن جميع جبال الأرض لها جذور عميقة تضرب في باطن الأرض.

لذا من الأنسب أنْ يقال: إنّ بعضَ الجبالِ لها جذور عميقة في الأرض تصل إلى الطبقة الصخرية العظمى في باطن الأرض، ولعلها هي التي شبهها الله سبحانه بالأوتاد، وقد تصل نسبتها إلى واحد من عشرة، والله تعالى أعلم ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى تحدث عن وظيفة الجبال في الأرض في عشر آيات، في واحدة منها فقط سماها أوتاداً، ولعلها ذات الجذور لأنها تشبه الأوتاد حقاً، وقد تكون وظيفتها زيادة اللحمة ما بين القشرة الأرضية الخارجية والطبقة الصخرية العظمى المحيطة بنواة الأرض، ولا سيما أنها مضروبة في منتصف الصفائح التكتونية، وهي المناطق التي تسمى بالدروع كما يرى علماء الأرض[٢].

أما الرواسي، فقد تصل نسبتها إلى تسعة من عشرة، لأنها ذُكرت في تسع آيات، والله تعالى أعلم بخلقه[٣].

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الدكتور منصور أبو شريعة العبادي قد عمَّم مصطلح الرواسي فأطلقه على الجبال عامّة، وذهب إلى أنها تعمل على تثبيت القشرة الأرضية القارّية، وذلك بناءً على ما كتبه علماء الجيولوجيا في هذا الشأن، فقال: « تمكّن علماء الجيولوجيا أخيرًا من كشف سرٍّ كبيرٍ كان يحيّرهم وهو عدم تآكل جذور مناطق محددة في كل صفيحة من الصفائح القارّية أطلقوا عليها اسماً مشتقّاً من اللاتينية والذي معناه الثبات والمتانة (cratons) وذلك رغم تكونها مع بداية تكون القشرة الأرضية قبل أربعة بلايين سنة. وقد أطلق القرآن الكريم على هذه المناطق قبل أربعة عشر قرنًا اسمًا أكثرَ دقة وهو الرواسي، والذي يوحي معناها بالدور الذي تقوم به هذه الرواسي في تثبيت القشرة الأرضية القارية. فالصفائح المحيطية التي لا تحتوي على مثل هذه الرواسي تتجدد كل مئة مليون سنة تقريبًا حيث تتآكل أطرافها عندما تغوص في طبقة الوشاح السائلة والحارة التي تقع تحتها. أما الصفائح القارية فقد حافظت على بنيتها إلى حد ما بسبب وجود هذه الرواسي التي تتميز بقلة كثافتها وصلابة صخورها وبعض الخصائص الكيميائية لصخورها التي تحول دون تآكل جذورها. وقد تبين للعلماء أيضا أن هذه الرواسي لها جذور عميقة جدّاً تمتد لما يزيد عن ثلاث مئة كيلومتر في طبقة الوشاح السائلة وتعمل هذه الجذور كعوارض أو كوابح (keels) تحدّ من حركة الصفائح القارية التي تطفو على طبقة الوشاح السائلة. وقد أشار أحد الباحثين كما سنبين ذلك لاحقًا، إلى أن هذه الرواسي قد

(١) المقتضب ٤٤/١. وينظر: الأصول في النحو ٢٠٤/١، والإنصاف في مسائل الخلاف ٣٧٠/١، مسألة رقم ٥٤، وأسرار العربية ٢٣٣، والجنى الداني في حروف المعاني ٥٢.

(٢) ينظر: مقال الدكتور منصور أبو شريعة العبادي، ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ [النَّحل الآية ١٥] على الشبكة، ص ٨.

(٣) ينظر: الآيات في نهاية المبحث الأول من هذا البحث.

تكون سقطت من السماء على شكل نيازك ضخمة واستقرت في القشرة الأرضية. لقد أشار القرآن الكريم إلى وجود مثل هذه الرواسي والدور الذي تلعبه في حفظ استقرار القشرة الأرضية وخاصة القارية وأنها أُلقيت من السماء كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النَّحْل الآية ١٥]. وكذلك أشار لوجود جذور لهذه الرواسي والتي تعمل كأوتاد مغروسة في طبقة الوشاح فتحول دون انزلاق القشرة الأرضية القارية فوق طبقة الوشاح كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النَّبَإ الآية ٧]»[(١)].

وهنا أعترض على ما ذهب إليه الأخ الدكتور منصور من جهتين، الأولى: أنه ليس لجميع الجبال جذور، كما تقدّم بيانه، والثانية: إنّ وظيفة الجبال في الأرض ليست واحدة، وإنما بعضها رواسٍ يقوم بحفظ توازن الأرض أثناء الدوران ويمنعها من الميدان، أي الاضطراب يميناً وشمالاً خلال الحركة، كما تمّ بيانه فيما تقدّم، وهذه هي التي أطلق الله تعالى عليها اسم الرواسي، إذ قال: ﴿رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ﴾، لا أَنْ تنزلق، وبعضها الآخر أوتاد تعمل على تثبيت ما ضُربت له بشكل مطلق، وتمنعه من الحركة تماماً كما الوتد الذي يمنع ما يثبّته من الحركة مطلقاً، ولعل المراد بالأوتاد، والله أعلم، تلك الجبال ذات الجذور العميقة، التي تعمل على تثبيت القشرة الأرضية القارية كما ذهب إليه علماء الجيولوجيا، يؤيد هذا أيضاً توصلهم إلى أنّ جذور تلك الجبال شديدة الصلابة بحيث تقاوم الصهارة ولاتذوب، إذ من المعلوم أنّ الوتد يكون دائماً أصلب وأقوى من الشيء الذي يُضرب فيه، فناسب أن تشبّه هذه الجبال بالأوتاد، وتلك بالرواسي، وهذا التعبير في غاية الدّقة.

وهنا أودّ أنْ أقول: إنْ صحّ هذا الاستنباطُ، وهو أنّ الوظيفة الرئيسة للجبال في الأرض حفظ توازن الأرض أثناء الدوران ومنعها من الميدان، حالها كحال الرصاصة في عجلة السيارة، كما بيناه،، فإنّ التلاعب فيها يكون في غاية الخطورة، قلَّ ذلك أو كَثُر، لأننا ندرك بالمشاهدة مدى فاعلية الرصاصة في استقرار السيارة أثناء سيرها على صِغَرِ حجمها، وخفة وزنها بالنسبة للسيارة.

ثم إن صحّ هذا أيضاً فإنّ إقامة مدن عملاقة كالجبال بشكل اعتباطي في الأرض، قد يخلّ في ذلك الميزان، وقد يؤدي إلى اضطراب في حركة الأرض، ويسبب الزلازل، ولاسيما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنّه في آخر الزمان تكثر الزلازل[(٢)]، وما من سبب إلا وله مسبب. ولعل ذوبان جبال الجليد العملاقة في القطبين أيضاً، يكون له أثر بالغ في ذلك الميزان الرباني.

(١) ينظر: مقال الدكتور منصور أبو شريعة العبادي، ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ [النَّحْل الآية ١٥] على الشبكة، ص١.
(٢) ينظر: صحيح البخاري ١/ ٣٥٠، وفتح الباري ٢/ ٥٢١، وشرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/ ٢٥.

المبحث الثالث

دلالة (جعل) و (ألقى) في سياق آيات الجبال

إنّنا لو أعدنا النظر في الآيات العشر المتقدِّمة[١]، التي عُنيت ببيان وظيفة الجبال في الأرض، نلاحظ أمراً آخر وهو التعبير عن كيفية تكوين الجبال في الأرض بفعلين اثنين هما: (جعل) و(ألقى) تكرر الأول في ست آيات، والثاني في أربع آيات، ولم يعبّر عن تكوينها بفعل آخر، كخلق وغيره أبداً، وهذه الآيات هي:

الآيات التي ذُكر فيها فعل (جعل)	الآيات التي ذُكر فيها فعل (ألقى)
﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ﴾ [الرَّعْد الآية ٣]	﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الحِجْر الآية ١٩]
﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [المُرْسَلَات الآية ٢٧]	﴿أَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ [النَّحْل الآية ١٥]
﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ [النَّمْل الآية ٦١]	﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ [لُقْمَان الآية ١٠]
﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [فُصِّلَت الآية ١٠]	﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [ق الآية ٧]
﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [المُرْسَلَات الآية ٢٧]	
﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ [النَّبَإ من الآية ٦ الى الآية ٧]	

فهل هذا اعتباط؟ حاشا وكلا، فالقرآن الكريم في غاية الدقة والإعجاز وما من كلمة فيه ولا حرف ولا حركة إلا وقد حسب حسابها[٢]، إذن فما السرّ من وراء ذلك، وما دلالته؟

إننا إذا ما نظرنا في كتب النحو لنرى الدلالة الرئيسة لفعل (جعل) نجده مدرجاً فيها ضمن أفعال التصيير، وممثلاً له بقولهم: جعلتُ الذهبَ خاتماً، والطحينَ عجيناً، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ۝٥٤﴾ [الفُرْقَان الآية ٥٤]. أي: صيّرناه وحوّلناه من حال إلى حال[٣].

(١) ينظر: نهاية المبحث الأول من هذا البحث.

(٢) ينظر: التعبير القرآني ٦.

(٣) ينظر: توضيح المقاصد ١/ ٥٥٨، وأوضح المسالك ٢/ ٥١، وشرح شذور الذهب ٤٦١.

وعلى هذا فإن دلالة (جعل) في الآيات الكريمة، تقتضي أن تكون الجبال في حالة غير التي هي عليها قبل الجعل والتحويل، كأن تكون مسطحة أو مقعّرة، ثم بعد التحويل صارت على الشكل الذي هي عليه الآن.

وهذا يفيد أيضاً أنّ هذا النوع من الجبال يقتضي أن تكون مادتها والعناصر المكونة لها متماثلة مع المحيط الذي نشأت فيه، لأنها متحولة منه وليست بغريبة عنه، أو طارئة عليه. وهذا الأمر يفسّر لنا حالة من حالة بناء الجبال في الأرض وتكوينها، وهو أمرٌ تنبه له علماء الأرض، وبحثوا كثيراً في أسبابه وقدّموا لذلك تفسيرات كثيرة منها الانزلاق، والترسب، والتصدع والالتواء وغير ذلك مما هو معلوم عند علماء الأرض[١].

يقول أحد علماء الجيولوجيا، وهو (روبرت ج فوستر) «إنّ كثيراً من سلاسل الجبال الحالية كانت فيما مضى أحواضاً مستطيلة أو جيوسنكلينات» وقال أيضاً: «لقد ذكرنا سابقاً أن أجزاءً من بعض السلاسل الجبلية التي تنشأ في الجيوسنكلينات تتكون من صخور متحولة، ومن كتل ضخمة من الصخور الجرانيتية المتداخلة المسماة (باثوليت) ومثل هذه الصخور تشكل أقدم الأجزاء في القارات، وهي ما تسمى أحيانًا بصخور القاعدة ؛ لأنّها تشكّل عادة أساسًا لقشرةٍ رقيقة من الرسوبيات ضمن الأجزاء الثابتة من القارة»[٢].

أمّا فِعل (ألقى) فدلالته اللغوية معروفة، فهو يعني طرح الشيءِ من علوّ أو نحوه[٣].

وكون هذا الفعل قد ورد في سياق أربع آيات من الآيات العشر المتقدمة الذكر، فإنّ ذلك يقتضي، حسب الدلالة اللغوية لهذا الفعل، أن يكون بعض الجبال قد طُرِح في الأرض من علوٍّ، إمّا من الفضاء، أو بفعل البراكين حين تقذف حممها وتلقي بها على جانب من الأرض. والأمران افترضهما الباحثون في علم الجيولوجيا أيضاً، أما البراكين فأمرها معروف ولا خلاف فيه. وأما الإلقاء من السماء فقد قال الباحث روبرت فوستر: «تقول أكثر النظريات شيوعاً في أصل القارات بأنها أُفرزت بشكل ما، من الستار العلوي، ولكن بعض الناس يرون بأنّ منشأها هو سقوط مواد نيزكية مباشرة بعد تصلّب الستار»[٤].

وبناء عليه يمكن القول: إنّ أصل تكوين الجبال في الأرض، والله أعلم، يتم بطريقتين لا ثالثة لهما. الأولى: التحويل من حالة عدم الجبلية إلى الحالة الجبلية، بسبب طارئ يقع على طبقات الأرض، كالترسب، والانكسار والانزلاق، والالتواء. والثانية: الإلقاء الخارجي، وقد يكون الإلقاء من داخل الأرض إلى سطحها، أو من خارجها. ثم لعل المراد، والله تعالى أعلم، من ورود فعل (جعل) في ست آيات، و(ألقى) في أربع آيات، الإشارة إلى نسبة تكوين الجبال في الأرض، لأنه ما من شيء إلا وقد خلقه الله عزّ وجلّ بقدر معلوم، وموزون أيضاً، إذ

(١) ينظر: أساسيات علم الأرض ٦١٨.
(٢) الجيولوجيا العامة ٤٧٠.
(٣) ينظر: الصحاح ، ولسان العرب (لقى).
(٤) الجيولوجيا العامة ٤٧٦.

قال سبحانه وتعالى في سورة القمر(٤٩) ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر الآية ٤٩]، وقال ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ [الحِجْر الآية ١٩]، فإذا كان كلّ شيء من النبات موزوناً، فما بالك بالجبال التي جعلت لحفظ توازن الأرض أصلاً، فلا شكّ أنها في غاية الدقّة والاتزان بكلّ تفاصيلها، وزناً وكمّاً ونوعاً ومكاناً.

هذا والله أسأل أنْ يحفظنا من الزلل في القول والعمل، وأن يلهمنا الصواب، ويجنبنا المزالق والعقاب، إنّه أكرم مسؤول وأفضل مأمول.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد فإن هذا البحث قد توصل بفضل الله ومنّه إلى جملة من النتائج المهمة منها:

١- أكّد هذا البحث أنّ وظيفة الجبال الأساسية في الأرض المحافظة على توازن الأرض أثناء الدوران من أن تميد وتضطرب بأهلها فتسبب لهم الإعياء.

٢- بين البحث أنّ الكيفية التي تتم بها عملية المحافظة على توازن الأرض بالجبال أشبه ما تكون بعملية الترصيص أو ما يعرف بالميزانية التي يعالج بها اضطراب حركة عجلة السيارة، وذلك بوضع قطعة من الرصاص بوزن معين في مكان محدد من العجلة فتستقر في دورانها.

٣- أكّد البحث عدم صحة الرأي القائل بأنّ جميع جبال الأرض لها جذور تضرب في أعماق الأرض لأنّ بعضها يبدأ من سطح الأرض.

٤- رأى البحث أنّ عملية تكوين الجبال في الأرض، قد تمت بأحد أمرين، والله أعلم، الأول التكوين من طبقات الأرض نفسها، لأسباب متعددة، وهو ما عبر عنه القرآن بفعل (جعل) الذي يفيد التصيير والتحويل من حال إلى حال. والآخر: الإلقاء وقد يكون هذا من باطن الأرض بسبب البراكين، أو أن يكون قد ألقي من خارج الأرض والله أعلم.

٥- أكد البحث على العلاقة الأزلية بين الجبال والبشر لما لها من دور فاعل في بقائه على قيد الحياة.

٦- توظيف القرآن الكريم كلمة الجبال كأداة قياس لبيان عِظَمِ أمور كثيرة، يعجز الإنسان عن إدراكها لعجز حواسه وقصورها عن ذلك.

وأخيراً .. فإني آمل أن يلفت هذا البحث نظر علماء الأرض، إلى أهمية الجبال ودقة توزيعها في الأرض، و التنبيه إلى عدم التلاعب بها، لأنّ ذلك قد يؤدي إلى كوارث لا تحمد عقباها، لأنها ميزان الأرض، وموزعة بدقة متناهية. ثم إنّ الناس قد بنوا مدناً جبالاً من غير معرفة ووعي لدقة هذا الميزان، ولعل ذلك كان وراء الكثير من الزلازل. هذا جملة ما تمّ التوصل إليه من نتائج في هذا البحث، وثمّة أمور أخرى يقف عليها القارئ في ثنايا البحث، آمل أن تكون صحيحة وينتفع بها أهل العلم، وتكون سبباً لشحذ هممهم في تدبر آيات كتاب ربنا العزيز، فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يبلى على كثرة الردّ، كما أخبرنا بذلك المصطفى، صلى الله عليه وسلم. والحمد لله على تمام الختام، والصلاة والسلام على حبيبنا محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه الكرام.

المصادر والمراجع

- أساسيات علم الأرض (الجيولوجيا الفيزيائية)، تأليف محمد بن عبد الغني عثمان مشرف، دار المريخ، الرياض، ١٤١٨هـ.

أسرار العربية: أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، ت ٥٧٧هـ، تحقيق: الدكتور فخر صالح قداره، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

- الأصول في النحو: ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، ت ٣١٦هـ، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، ت ٥٧٧هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٨٢م.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، ت ٧٦١هـ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م.

- البحر المديد: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي. حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ).

- الجيولوجيا العامة: روبرت ج. فوستر، ترجمة عبد القادر عابد، وشاكر رسمي المقبل، وسعد حسن الباشا، ١٩٧٩م، مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني.

- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، ت ١٢٠٥هـ، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

- التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط٧، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م.

- تفسير الرازي (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، ت ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

- تفسير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، ت ٦٧١هـ، تحقيق:هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

- تهذيب اللغة: الأزهري، محمد بن أحمد، ت ٣٧٠هـ، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو القاسم المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

- ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: الدكتور، محمد حسين، ١٩٥٠م. المطبعة النموذجية مصر.

- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تقديم، عبد الله مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ١٩٩٤م.

- ديوان زهير بن أبي سلمى، تقديم علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

- ديوان العباس بن الأحنف، تحقيق: عاتكة الخزرجي، دار الكتب العصرية، القاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

- ديوان النابغة الذبياني، رواية الأصمعي من نسخة الأعلم، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢.

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عقيل العقيلي، ت ٧٦٩هـ، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- شرح ديوان عنتر، الخطيب التبريزي، إخراج مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف، ت ٧٦١ه، تحقيق عبد الغني الدقر، دمشق. ط١، ١٩٨٤م.

- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٣٨هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت ٨٥١هـ، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

- الفروق اللغوية، أبو الهلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، ت نحو ٣٩٥هـ، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر القاهرة .

- الكشف والبيان: الثعلبي النيسابوري، أحمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١١٤٢٢ هـ- ٢٠٠٢ م.

- لسان العرب: ابن منظور، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ.

- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ت ٢١٠هـ، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصور عن الطبعة الأولى.

- معاني القرآن: أبو جعفر النحاس، ت ٣٣٨هـ، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥.

- مقال (وألقى في الأرض رواسي) للدكتور مصطفى أبو شريعة العبادي، منشور على الشبكة، وهو عبارة عن مقتطفات مترجمة من عدة بحوث أجنبية تبحث في آلية تكوين الجبال وتاريخ نشأتها.

- المقتضب: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، ت ٢٨٥هـ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

- موقع عبد الدائم كحيل للإعجاز العلمي، بحث (توازن الأرض).

- النِّهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، أبو السَّعادات المبارك بن محمد الجزري، ت ٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.